

مِرَاتِبُ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَأَحْكَامُهَا

ثُمَّ ذُكْرَ أَنَّ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، وَذُكْرُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَقَدْ ذُكِرَهَا أَيْضًا ابْنُ كَثِيرٍ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا آتَيْشَاهَا حَمْلًا حَفِيًّا فَمَرَرْتُ بِهِ} فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةِ ذُكْرٌ فِيهَا قَصْصٌ غَرَبِيَّةٌ مَنْقُولَةٌ عَنْ كِتَابِ بَنِي إِسْرَائِيلِ؛ فَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ وَلِعَلِهِ نَقْلُهُ مِنْ رِسَالَةِ شِيخِهِ ابْنِ تِيمِيَّةَ؛ فَإِنَّهُ شِيخٌ لَهُ: إِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صَحَّهُ مَا يَأْدِينَا مَا يَشَهِّدُ لَهُ بِالصَّدْقِ، يَعْنِي: جَاءَ تَصْدِيقُهُ فِي الْقُرْآنِ أَوْ تَصْدِيقُهُ فِي السُّنْنَةِ؛ يَعْنِي شَهَدَ لَهُ الْقُرْآنُ أَوْ شَهَدَتْ لَهُ السُّنْنَةُ، فَهَذَا نَصْدِقُهُ. وَمَعَ ذَلِكَ يَكُونُ الاعْتِمَادُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، وَبِكُوْلِهِ كِتْرَجِيجٌ وَتَأْنِيسٌ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّفَاصِيلِ. فَأَمَّا التَّفَاصِيلُ الَّتِي يَذَكُرُونَهَا تَفْصِيلًا لِبَعْضِ الْمَجْمَلِ؛ فَالْغَالِبُ أَنَّهَا مِنَ الْحَكَامَاتِ الَّتِي لَا أَصْلُ لَهَا، أَوْ أَنَّهَا مِنَ التَّارِيَخِ الَّذِي دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ. وَقَدْ نَقَلَ كَثِيرًا مِنْهَا ابْنُ جَرِيرٍ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: {وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُقْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَرْتُينَ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا} إِلَى أَخْرِ الْآيَاتِ. فَإِنَّهُ نَقَلَ عَنْهُمْ حَكَامَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي قَصْصِ بَنِي إِسْرَائِيلِ فِي الْأَفْسَادِ الْأُولِيِّ وَالثَّانِيِّ {لِتُقْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَرْتُينَ} . يَقُولُ: الْقَسْمُ الثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عَنَدُنَا مَا يَخَالِفُهُ، يَعْنِي تَحْقِيقُنَا أَنَّهُ كَذَبٌ، وَتَحْقِيقُنَا أَنَّهُ لَا أَصْلُ لَهُ، دَلَّتْ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّهُ كَذَبٌ، مُثْلُ مَا يَذَكُرُونَ فِي قَصْصَ عَوْجَ بْنِ عَنْقٍ وَأَنْ طَولَهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ ذَرَاعًا وَثَلَاثَمَائَةَ وَثَلَاثَةَ وَثَلَاثُونَ ذَرَاعًا وَثَلَاثَ ذَرَاعًا، وَأَنْ مُوسَى طَولُهُ سَتُّ عَشَرَةَ ذَرَاعًا، وَطَولُ عَصَاهُ عَشَرَةَ ذَرَاعًا، وَأَنَّهُ قَفَرَ عَشَرَةَ ذَرَاعًا لِيَضْرِبَ عَوْجَ بْنِ عَنْقٍ وَلَمْ تَصُلِ الْصَّرْبَةُ إِلَى كَعْبَهُ. كُلُّ هَذَا لَا أَصْلُ لَهُ، كَيْفَ عَرَفْنَا كَذِبَهُ؟ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبِيِّ حِيثُ ذَكَرَ وَقَالَ: {إِنَّ آدَمَ لَمَا خَلَقَ اللَّهُ كَانَ طَولَهُ سَتِينَ ذَرَاعًا} ثُمَّ قَالَ: {فَلَمَ يَزِلَ الْخَلْقُ يَنْقَصُ حَتَّى الْآنَ} أَخْبَرَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ هُوَ آدَمُ وَأَنَّ ذَرِيَّتَهُ صَارُوا يَنْقَصُونَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ، فَكَيْفَ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا طَولَهُ كَذَا وَكَذَا؟ فَهَذَا يَكْذِبُهُ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّنْنَةِ. فَهَذَا ذَبَّنَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ. الْقَسْمُ الثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ؛ لَا مِنْ هَذَا الْقَبْلِ، وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبْلِ، لَا نَجَدُ مَا يَصْدِقُهُ وَلَا نَجَدُ مَا يَكْذِبُهُ، فَهَذَا لَا نُؤْمِنُ بِهِ تَصْدِيقًا وَلَا نَكْذِبُهُ، وَإِنَّمَا تَجُوزُ حَكَامَتِهِ لِلْأَعْتِقَادِ، وَبِأَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذْنَ فِي أَنْ نَحْدُثَ بِهِ وَقَالَ: {حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمُ الْأَعْجَابِ} يَعْنِي فِيهِمْ حَكَامَاتٌ وَأَعْجَابٌ. لَكِنَّ غَالِبَ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحْمَهُ اللَّهُ مَا مَا لَا فَائِدَةُ فِيهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرِ دِينِيِّ، قَدْ يَكُونُ فِيهَا عِبْرَةٌ؛ مُثْلُ مَا ذَكَرُوا فِي قَصْصِ الرَّجُلِ الَّذِي أَجْمَلَ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: {وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِمْ بَأَنَّمَا الَّذِي أَتَيْنَاهُ أَيْتَنَا} فَأَنْسَلَحَ مِنْهَا فَأَنْبَيَّهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ} . وَرَدَ تَسْمِيَّتُهُ أَنَّهُ يَلْعَمُ بْنَ بَاعُورَاءَ ثُمَّ فِي هَذِهِ الْقَصْصَ عِبْرَةٌ؛ لَأَنَّ اللَّهَ قَالَ: {أَتَيْنَاهُ أَيْتَنَا فَأَنْسَلَحَ مِنْهَا فَأَنْبَيَّهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ} إِلَى أَخْرِ الْقَصْصِ. وَكَذَلِكَ أَيْضًا جَاءَ فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ لَهُ قَصْصٌ، يَعْنِي: مَا مَعْنَى اِنْسَلَاحِهِ؟ وَكَيْفَ اِنْسَلَاحٌ؟ وَكَيْفَ آتَاهُ اللَّهُ آتَاهُ آيَاتِهِ؟ {أَتَيْنَاهُ أَيْتَنَا} وَمَا هِيَ الْآيَاتُ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ؟ وَمَا سَبَبَ اِنْسَلَاحِهِ؟ فِي ذَلِكَ قَصْصٌ مُخْتَلِفَةٌ مَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ؛ فَنَأْخُذُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَجْمَلًا. أَمَا اِنْفَاقَهُمْ عَلَى أَنَّ اسْمَهُ بَلْعَمٌ فَيَقُولُ لَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ دِينِيَّةٌ.